مهند مصطفى*

"حماستان"
التوجه الإسرائيلي حيال فوز حماس في الانتخابات الفلسطينية

تعاملت إسرائيل مع فوز حركة حماس في انتخابات ٢٥ كانون الثاني ٢٠٠٦ الفلسطينية من خلال استحضار مصطلحات تاريخية في الذاكرة الجماعية اليهودية ذات صلة بالمرحلة النازية، وذلك لتسويق فكرتها حول رفضها لنتائج الانتخابات وانعكاساتها الخطيرة على الأمن الجماعي اليهودي، وتصوير حماس من خلال أوصاف تحاول من خلالها مخاطبة الشعور اليهودي الداخلي، وتخويف الرأي العام العالمي من هذه الحركة.

فقد اعتبر بنيامين نتنياهو رئيس حزب الليكود على سبيل المثال "صعود حماس إلى الحكم كصعود النازيين إلى الحكم في ألمانيا"، في محاولة منه لربط الكارثة التي حلت على على الشعب اليهودي التي أحدثها النازيون باليهود في أوروبا بالنتيجة المترتبة على فوز حركة حماس في الانتخابات. وشبه آفي ديختر، أحد القياديين المركزيين في حزب "كديما" ميثاق حماس بكتاب ادولف هتلر الموسوم "كفاحي". وطالب ايفي ايتام من حزب "هئحود هلؤومي" اليميني باغتيال قيادة حماس كما كان يجب اغتيال هتلر" (معاريف، ٢٧/١/٢٠٠٥). وظهرت في الصحافة الإسرائيلية مقالات وصور كريكاتورية تؤكد هذه النمطية عن حركة حماس.

لا يمكن الحديث حاليا عن استراتيجية إسرائيلية واضحة المعالم للتعامل مع الواقع الجديد بعد فوز حماس، لسببين: أولا، لأن إسرائيل نفسها لم تكن تتوقع فوزا كبيرا لحماس في الانتخابات، الأمر الذي أدى إلى تشبيه فشل الاستخبارات الإسرائيلية في توقع النتيجة بفشل الاستخبارات في حرب أكتوبر ١٩٧٣ (يديعوت احرونوت، ٢٧/١/٢٠٠٦، ص:٣). وكذلك ليس هناك تصور إسرائيلي واضح للمرحلة القادمة بعد فوز حركة حماس، حتى أن جهاز الاستخبارات العسكرية اعترف أن فوز حماس خلق مرحلة جديدة

* باحث في مركز الدراسات المعاصرة في أم الفحم، وجمعية ابن خلدون في الجليل

يتفق بعض الكتاب الإسرائيليين مع الادعاء القائل أن فوز حماس خطر استراتيجي على إسرائيل، ولكن في المدى البعيد، وفي سياق أوسع من السياق الفلسطيني. أحد هؤلاء الكتاب، اعتبر فوز حماس بداية "عصر الجماهير"، حيث أصبحت الجماهير العربية عنصرا مهماً في المعادلة السياسية والاستراتيجية الإسرائيلية بعد فوز حماس. فوز حماس سوف يؤدي إلى تفكيك الأطر السياسية العربية التقليدية، وصعود أطر سياسية جديدة تتطلب من الدولة اليهودية بناء استراتيجية جديدة للتعامل معها، وليس مجرد الاكتفاء بردع أنظمة ديكتاتورية قائمة.

وانتقالية غير واضح حتى الآن ماذا ستكون نهايتها (معاريف، ٢٠٠٦/١/٢٧، ص:٢). وثانيا: لأن النقاش السياسي الإسرائيلي يتم الآن عشية الانتخابات الإسرائيلية، وهو بطبيعة الحال محكوم لها ولقواعدها الانتخابية. غياب استراتيجية إسرائيلية للتعامل مع الوضع الفلسطيني الجديد انعكس على تقييم المرحلة الجديدة، فمن جهة يعتبر رئيسا "الشاباك" الحالي والسابق يوفال ديسكين وافي ديختر فوز حماس خطراً استراتيجياً على إسرائيل، بينما ينفي ذلك بشدة رئيس الحكومة بالوكالة اهود أولمرت، ومن جهة تعتبر وزيرة الخارجية الإسرائيلية، "تسيفي ليفني" أن الرئيس الفلسطيني أبو مازن غير "ذي صلة"، بينما ينفي ذلك أولمرت من جهة اخرى. كل ذلك يدل على نوع من التخبط في التعامل وتقييم الواقع السياسي الفلسطيني الجديد. ففي الوقت الذي تقطع فيه إسرائيل العلاقات الاقتصادية مع الفلسطينيين فانها تحافظ على استمرار التنسيق الأمني مع السلطة الفلسطينية، فالضباط الإسرائيليون يقيمون اتصالات دائمة وعادية مع أجهزة الأمن الفلسطينية، التنسيق الأمني مستمر على الرغم من ادعاء أولمرت في جلسة الحكومة يوم الأحد ٢٠٠٦/٢/١٩ أن "السلطة الفلسطينية تحولت نظريا وعمليا إلى سلطة إرهابية" وادعائه أن "إسرائيل لن تدير أي علاقات مع نظام حماس سواء أكانت حماس جزءاً صغيرا أو كبيرا منه".

يتفق بعض الكتاب الإسرائيليين مع الادعاء القائل أن فوز حماس خطر استراتيجي على إسرائيل، ولكن في المدى البعيد، وفي سياق أوسع من السياق الفلسطيني. أحد هؤلاء الكتاب، اعتبر فوز حماس

انتخابات فلسطينيه

هدفت السياسة الإسرائيلية بشكل دائم إلى نزع الشرعية عن قادة السلطة الفلسطينية، هكذا كان الأمر مع الرئيس الراحل ياسر عرفات، واستمرت السياسة نفسها مع الرئيس الحالي محمود عباس، من خلال تجاهله وعدم مساعدته لتعزيز قيادته ومكانته بين صفوف الشعب الفلسطيني، وذلك لتعزيز الفلسفة الإسرائيلية حول غياب الشريك في الطرف الفلسطيني.

بداية "عصر الجماهير"، حيث أصبحت الجماهير العربية عنصرا مهماً في المعادلة السياسية والاستراتيجية الإسرائيلية بعد فوز حماس. فوز حماس سوف يؤدي إلى تفكيك الأطر السياسية العربية التقليدية، وصعود أطر سياسية جديدة تتطلب من الدولة اليهودية بناء استراتيجية جديدة للتعامل معها، وليس مجرد الاكتفاء بردع أنظمة ديكتاتورية قائمة (هآرتس، ٢٠٠٦/١/٢٩، ص:٥).

تنحصر السياسة الإسرائيلية في الوقت الحاضر في توجيه مطالب لحركة حماس، وليس في صياغة استراتيجية عمل للتعامل مع الواقع الفلسطيني الجديد، وتندرج هذه المطالب في إعلان مبادئ من حماس تتمثل بالاعتراف بالاتفاقيات المبرمة مع السلطة الفلسطينية، نزع سلاحها، والاعتراف بدولة إسرائيل.

هدفت السياسة الإسرائيلية بشكل دائم إلى نزع الشرعية عن قادة السلطة الفلسطينية، هكذا كان الأمر مع الرئيس الراحل ياسر عرفات، واستمرت السياسة نفسها مع الرئيس الحالي محمود عباس، من خلال تجاهله وعدم مساعدته لتعزيز قيادته ومكانته بين صفوف الشعب الفلسطيني، وذلك لتعزيز الفلسفة الإسرائيلية حول غياب الشريك في الطرف الفلسطيني، لتتمكن إسرائيل من تحديد المعالم النهائية للحل الدائم بشكل منفرد واحادي الجانب، تم الادعاء سابقا أن عرفات "يستطيع لكنه لا يريد"، وقيل عن الرئيس الحالي أبو مازن "انه يريد لكنه لا يستطيع"، وبعد فوز حركة حماس في الانتخابات تتم بلورة سياسة تتضح معالمها شيئا فشيئا تهدف إلى نزع الشرعية عن السلطة الفلسطينية كمبنى سياسي قائم، وليس فقط عن قيادتها.

بعد فوز حماس أقامت الحكومة الإسرائيلية طاقمي عمل لفحص العلاقة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية، ولتجاوز حالة التخبط السياسي في مستقبل هذه العلاقة. الطاقم الأول تشكل برئاسة دوف فايسغلاس مدير عام مكتب رئيس الحكومة وعضوية كل من: رئيس هيئة الأركان، رئيس الشاباك، رئيس جهاز الاستخبارات العامة وغيرهم. الطاقم الثاني أقيم في إطار مجلس الأمن القومي، برئاسة رئيس المجلس غيورا ايلاند. وقد تبنت الحكومة التوصيات التي قدمها مجلس الأمن القومي (ملحق معاريف، ٢٠٠٦/٢/٢٤، ص:٥). الطاقم الأول اقترح الانفصال عن الفلسطينيين بشكل كامل، إغلاق المعابر، منع دخول عمال فلسطينيين إلى إسرائيل، حصار ومقاطعة مطلقة[١]. وينسجم هذا الموقف مع موقف الأجهزة الأمنية التي تعتبر السلطة بعد استلام حماس لزمام الأمور فيها جزء من قوس الشر: إيران، دمشق، حزب الله، وحماس، وقد أطلق أحد الصحافيين على هذه الخطة خطة "الجدار الحديدي" (ملحق يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/٢/١٠، ص:١٠-١١)، يتضح أن الجهاز الأمني الإسرائيلي يتبنى سياسة متطرفة جدا في التعامل مع فوز حركة حماس، ويحمل نظرة تشاؤمية للعلاقة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية. الطاقم الثاني اقترح سياسة برغماتية أكثر في التعامل مع الوضع الجديد من خلال فهم ديناميات الواقع الفلسطيني ومركباته بشكل أعمق.

يمكن تقسيم المواقف الإسرائيلية اتجاه حركة حماس إلى مجموعتين، على نحو يؤكد غياب إستراتيجية إسرائيلية واضحة في التعامل مع حكومة برئاسة حماس من جهة، والاستقطاب السياسي الذي أحدثه صعود حماس إلى الحكم من جهة أخرى.

الموقف الأول: يدعي أن فوز حركة حماس وتسلمها السلطة الوطنية الفلسطينية سوف يؤدي إلى تطرف المبنى السياسي القائم المتمثل بالسلطة، والى جعله مبنى سياسيا راديكاليا وإرهابيا. ويتفق على ذلك غالبية التيارات السياسية الإسرائيلية.

في مؤتمر هرتسليا في كانون الأول ٢٠٠٥، صرح رئيس هيئة الأركان دان حالوتس عن الاتجاه السائد في الجهاز الأمني الإسرائيلي والذي يقول فيه، "إذا أصبحت حركة حماس عاملا

أدى فوز حماس الذي جاء عشية الانتخابات الإسرائيلية إلى ظهور نقاش سياسي على السطح بشكل كبير، وخصوصا فيما يتعلق برؤية كل حزب للتسوية السياسية مع الفلسطينيين في ظل حكومة بقيادة حماس، وتأكيد كل حزب على صحة موقفه السياسي وفشل الموقف الآخر، ففي حزب "كديما" اعتبروا فوز حماس دليلا على مشروعية الانسحابات أحادية الجانب لحل الصراع، لأنه لم يكن هناك شريك للتفاوض ولم ينتخب الشعب الفلسطيني شريكا جديدا لذلك،

مركزيا ومؤثرا في السلطة، فانه لا يمكن منع مواجهة مستقبلية" (ملحق يديعوت أحرونوت، ٢٠٠٦/١/٢٧ ص:٥)، يقف وراء هذا الادعاء تصور لا يعتقد أن هناك أملا أن تكون حماس حركة معتدلة من وجهة النظر الإسرائيلية، وبذلك ليس هناك مكان لتسوية سياسية معها. في مقال نشره د.دوري غولد[٢]، كتب انه من الخطأ المقارنة بين المنظمة في سنوات السبعين وبين حماس اليوم، بل أن لحركة حماس ارتباطات مع "الإرهاب الإسلامي العالمي"، وهي جزء منه (معاريف، ٢٠٠٦/٢/١، ص:ب٧).

الموقف الثاني: يدعي أن فوز حماس واستلامها زمام الأمور السياسية والمدنية في السلطة سوف يؤدي إلى "برغمتة" مواقف حماس في توجهاتها اتجاه إسرائيل. ويجعلها تتفاوض مع إسرائيل وتقبل في شرعيتها. على اعتبار أن القضايا اليومية التي تتعلق بحياة الشعب الفلسطيني تمر من خلال إسرائيل. تحاول إسرائيل من خلال منع تمرير الأموال إلى السلطة الفلسطينية ابتزاز حركة حماس سياسيا لتقدم الاخيرة تنازلات سياسية عن مواقفها، وفي النهاية تحويلها إلى حركة برغماتية. في محاضرة له في معهد أبحاث "فان لير" قال "اودي ديكل" رئيس شعبة التخطيط الاستراتيجي بهيئة الأركان "عندما تتحول حماس إلى جسم سياسي، ربما تصبح اكثر اعتدالا، ومقيدة باعتبارات سياسية، وعندها لن يمارس الإرهاب المباشر ضدنا، ربما تكتفي بإرهاب غير مباشر" (معاريف، ٢٠٠٦/١/٣٠، ص:ب٧). عامي ايلون القيادي في حزب العمل ورئيس الشاباك السابق يتفق مع هذا الموقف، ففي مقابلة معه قال "علينا عقلنة حماس، هذا الأمر وارد، عندما تلتقي حركة حماس مع الواقع ستصبح اكثر اعتدالا.... عندما يواجه تيار إسلامي سياسة إسرائيلية واضحة ومثابرة يتحول إلى تيار برغماتي" (ملحق هآرتس، ٢٠٠٦/٢/١٠، ص:٢٤). هناك اتجاه في النخبة الإسرائيلية ينظر إلى "الجانب الإيجابي" كما يسمونه في فوز حماس، والذي يتمثل بقدرتها على وقف فوضى السلاح، ومنع عمليات المقاومة لأنها غدت صاحبة المصلحة في استقرار الهدوء وضبط الأمور الأمنية، من خلال تركيز السلاح بيدها، وعندها تستطيع إسرائيل أن تدفعها الثمن على أعمال مقاومة فلسطينية (المصدر السابق).

وانتقد أحد المعلقين التوجه الذي يحاول تغييب حركة حماس عن إمكانية تفاوض إسرائيل معها "يقومون بتحويل حماس إلى وحش يرغب في إبادة إسرائيل، ولان الوحوش يجب إبادتها، ويصرون على أن يفهم الشعب الفلسطيني، انه لكي يحصل على الأكل يجب أن يعود إلى حركة فتح، والتي تحولت فجأة (في الخطاب الإسرائيلي) إلى أحباء صهيون، الموقف السياسي الآن هو عدم الحديث مع حماس، بالضبط كما أقسمنا أننا لن نتحدث مطلقا مع منظمة التحرير". (نحميا شطرسلر، هآرتس ٢٠٠٦/٢/٢١ ص: ب١)، واقترح في هذا السياق نائب رئيس "الشاباك" السابق "عوفر ديكل" أن تقوم إسرائيل بفرض دينامية اعتدال على حركة حماس، بإرغامها كحكومة منتخبة على العمل لمنع عمليات ضد إسرائيل ومنع تهريب السلاح" (ملحق يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/٢/٢٤، ص:٨).

ينطلق هذا الموقف من الادعاء المركزي أن الأراضي الفلسطينية لا تزال تحت السيطرة الإسرائيلية، لهذا السبب ليس هناك مكان للارتباك من فوز حماس، يتناقض هذا الموقف مع موقف الأجهزة الأمنية وعلى رأسهم رئيس جهاز "الشاباك" الحالي "يوفال ديسكين" بوصفه صعود حركة حماس "خطرا استراتيجيا".

أحد الباحثين[٣] في حركة حماس اعتبر فوزها بأنه سيشكل جسرا بين الإسلام وأوروبا، ولم يستغرب أن يجلس قادة حماس في البيت الأبيض. (ملحق يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/٢/٢٤، ص:٦). باحث آخر[٤] اعتبر أن هذا الجسر سوف يسيء لدولة إسرائيل كونه

ويتفق اليمين الإسرائيلي مع موقف الليكود بان مشروع فك الارتباط عن غزة كان السبب بفوز حماس. وفي مجلس المستوطنات كانت اللهجة اشد في مهاجمة خطة فك الارتباط، ففي البيان الذي أصدره المجلس جاء :" فوز حماس يعود بالأساس إلى مخططي فك الارتباط، في الانتخابات القادمة، ستعزز إسرائيل من قوة حركة الجهاد الإسلامي، من خلال الهروب وتقديم تنازلات جديدة، وفي الانتخابات التي تليها، نشك إذا استمرت إسرائيل بالوجود"

سيشكل معبرا للرواية (نراتيف) الفلسطينية للرأي العام العالمي، الأمر الذي يؤدي به إلى القبول بفكرة دولة ثنائية القومية، واعتبر انه على الحكومة الإسرائيلية أن تحدد الحدود النهائية لدولة إسرائيل كدولة يهودية، وفرضها بشكل أحادي الجانب على الشعبين اليهودي والفلسطيني (المصدر السابق، ص:٩). باحث ثالث° اعتبر أن دور حماس لن يكون جسرا بين الشرق والغرب، وانما سوف تقوم حماس بتذويت إنجازها، فهي لن تتنازل عن المقاومة، ولكن الخطر لن يكون عسكريا، إنما الخطر سيكون سياسيا، من خلال عملية التمكين وتأثير فوز حماس على آمال صعود التيار الإسلامي إلى الحكم في العالم العربي.

الخارطة السياسية الإسرائيلية وفوز حماس

أدى فوز حماس الذي جاء عشية الانتخابات الإسرائيلية إلى ظهور نقاش سياسي على السطح بشكل كبير، وخصوصا فيما يتعلق برؤية كل حزب للتسوية السياسية مع الفلسطينيين في ظل حكومة بقيادة حماس، وتأكيد كل حزب على صحة موقفه السياسي وفشل الموقف الآخر، ففي حزب "كديما" اعتبروا فوز حماس دليلا على مشروعية الانسحابات أحادية الجانب لحل الصراع، لأنه لم يكن هناك شريك للتفاوض ولم ينتخب الشعب الفلسطيني شريكا جديدا لذلك، ويشارك في هذا الموقف حزب العمل أيضا، الذي اعتبر أن فوز حماس يشكل تأكيدا لبرنامجه السياسي في تحديد شكل الحل النهائي بشكل أحادي الجانب إذا لم يكن هناك شريك في الجانب الفلسطيني. واستغل حزب "الليكود" واليمين الإسرائيلي فوز حماس لمهاجمة فلسفة الخطوات الأحادية الجانب في إدارة الصراع مع الفلسطينيين، وضرورة اتباع مبدأ التبادلية، كون الانسحاب أحادي الجانب من قطاع غزة وشمال الضفة الغربية كان السبب

استغل حزب العمل فوز حماس ليؤكد على برنامجه السياسي بالنسبة للتقدم بالمسيرة السياسية، حيث اعتبر فوز حماس تأكيدا على أهمية الخطوات أحادية الجانب في إدارة الصراع مع الفلسطينيين. وعدم الغرق في حالة من الجمود السياسي.

المباشر في فوز حركة حماس في الانتخابات. فيما يلي نفصل موقف الأحزاب المركزية الثلاثة في الساحة السياسية الإسرائيلية:

كديما

استغلت "كديما" فوز حماس في الانتخابات لتشير إلى مصداقية فلسفتها السياسية في وضع حدود الحل النهائي مع الفلسطينيين كما نظر لذلك أريئيل شارون، وهي فلسفة الخطوات الأحادية الجانب، كما كان الأمر في قطاع غزة وشمال الضفة الغربية، وذلك بسبب غياب الشريك في الجانب الفلسطيني، واعتبر حزب "كديما" فوز حماس تأكيدا على غياب الشريك في الجانب الآخر، واعطاء شرعية مستقبلية لخطط فك ارتباط مستقبلية عن الفلسطينيين. على ضوء ذلك، صرح أولمرت بعد فوز حماس مباشرة بأن "سلطة فلسطينية برئاسة حماس ليست شريكا، إذا أقيمت حكومة فلسطينية برئاسة حماس ستتحول السلطة الفلسطينية لسلطة إرهابية، تتجاهلها إسرائيل وتصبح غير ذات صلة، ولن تفاوضها إسرائيل" (يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/١/٢٧، ص:٢). وحدد أولمرت في خطاب له في الكنيست بتاريخ ٢٠٠٦/٢/١٣ الهدف الأسمى لدولة إسرائيل في المرحلة القادمة، تعزيز الجوهر اليهودي الديمقراطي للدولة من خلال تحديد الحدود الدائمة لدولة إسرائيل، وصياغة الدستور. وينزع قادة "كديما" شرعية القيادة الحالية بشكل مطلق، ويعتبرونها "إرهابية" حتى بعد انخراطها في النظام الفلسطيني. "آفي ديختر" أحد القياديين البارزين في الحزب ورئيس جهاز الشاباك السابق صرح أن إسماعيل هنية هو هدف للاغتيال الإسرائيلي، وانه سيعتقل إذا مر على أحد الحواجز الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، على غرار اعتقال مروان البرغوثي (ملحق يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/٢/٢٤، ص:١٠-١١).

الليكود واليمين

اعتبر الليكود فوز حماس نتيجة طبيعية لإنسحاب إسرائيل بشكل أحادي الجانب من قطاع غزة، وفشلا للبرنامج السياسي لحزب "كديما"، وعبر نتنياهو عن ذلك بشكل مباشر "نحن أمام حدث سيولد دولة إسلامية متطرفة... اليوم هو يوم حساب للنفس لأن العنوان كان على الجدار، الانسحاب المجاني من غوش قطيف وشمال السامرة منح حماس بطاقة رابحة في الانتخابات" (هآرتس، ٢٠٠٦/١/٢٧، ص:٩). ويقترح نتنياهو بدل الانسحاب الأحادي الجانب، بناء سور حديدي وتحصين الحدود الأمنية لإسرائيل.

ويتفق اليمين الإسرائيلي مع موقف الليكود بان مشروع فك الارتباط عن غزة كان السبب بفوز حماس. وفي مجلس المستوطنات كانت اللهجة اشد في مهاجمة خطة فك الارتباط، ففي البيان الذي أصدره المجلس جاء :" فوز حماس يعود بالأساس إلى مخططي فك الارتباط، في الانتخابات القادمة، ستعزز إسرائيل من قوة حركة الجهاد الإسلامي، من خلال الهروب وتقديم تنازلات جديدة، وفي الانتخابات التي تليها، نشك إذا استمرت إسرائيل بالوجود" (هآرتس، ٢٠٠٦/١/٢٧، ص:٩).

وزير الأمن السابق في حكومة شامير، موشيه ارنس كتب أن تجربة الانسحاب أحادي الجانب فشلت مع فوز حماس، "إننا لم ننتظر طويلا حتى يحكم التاريخ على هذه التجربة، لأن فوز حماس هو نتيجة مباشرة لهذه التجربة التي ولدت في الحرام" (هآرتس، ٢٠٠٦/١/٣١، ص:ب١).

يرفض الليكود التفاوض بأي شكل من الأشكال مع حماس، وعبر عن ذلك بشكل واضح زعيم الحزب نتنياهو في مقالة نشرها في صحيفة يديعوت احرونوت "لا يجب أن نتمسك بالوهم القائل انه إذا غيرت حماس برنامجها السياسي، يمكن حينها الوصول إلى تفاهمات معها، لا يمكن الوصول إلى تفاهمات مع حركة حماس لأن ماهيتها وجوهر وجودها يتعلق بهدف واحد: إبادة دولة إسرائيل" (يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/١/٢٧، ص:٢).

الموقف من فك الارتباط ليس حصرا على أصحاب التوجهات اليمينية في الخارطة السياسية الإسرائيلية، بل هناك من يعتقد أن الخطوات أحادية الجانب كمبدأ للتعامل مع الفلسطينيين هو خطأ استراتيجي، وان مسيرة التسوية يجب أن تتم من خلال التنسيق

يفرق المجتمع الإسرائيلي بين رؤيته البرغماتية لحركة حماس، وبين البعد الأيديولوجي للحركة، ففي الوقت الذي يعتقد فيه المجتمع الإسرائيلي أن على إسرائيل الحديث مع السلطة الفلسطينية بقيادة حماس، فانه يعبر عن قناعته أن الحركة لن تغير من طابعها الأيديولوجي بعد فوزها في الانتخابات.

بين الطرفين. وينطلق هذا التوجه من الادعاء أن فوز حركة حماس هو جزء من هذا التوجه السياسي الإسرائيلي، وهو دليل على فشله وليس سبيلا لتعزيزه. حيث يعتبر هذا التوجه بان فوز حماس هو ثمن الوهم في عبارة "علينا أخذ مصيرنا بايدينا"، حيث أن إسرائيل والفلسطينيين هما توأمان سياميان، ومن يريد الفصل بينهما عليه أن يأخذ بعين الاعتبار بان أحدا لن يبقى على قيد الحياة، لهذا فان الانفصال عليه أن يتم بالتفاوض بين الطرفين، وليس فقط من منطلق ما هو جيد لنا" (هآرتس، ٣٠/١/٢٠٠٦، ص:ب١). رئيس هيئة الأركان السابق بوغي يعلون اعتبر أن الانسحاب أحادي الجانب من غزة، حوّل الانتصار العسكري الإسرائيلي في الانتفاضة إلى هزيمة سياسية، وأدى إلى زعزعة الواقع الاستراتيجي لإسرائيل والى تعزيز قوة أعدائها"[٦]. ويقول يعلون في مقال نشره بعنوان "الانفصال عن الحقيقة والواقع": "إذا فحصنا الانفصال بأثر رجعي يمكن تلخيص ميزان المصالح لدولة إسرائيل كسلبي جدا". وقد عدد يعلون أربع نقاط إيجابية مقابل ثماني نقاط سلبية في خطة فك الارتباط، وفي سياق فوز حماس كتب يعلون "كل محاولة لتفسير فوز حماس كرد فعل على الفساد في نظام فتح يستمر بتشويه الحقيقة واخفاء رأسه في التراب. فازت حماس في الانتخاب ليس بسبب الفساد فقط، لأنه بدون الانسحاب من غزة لم تكن لتحظى حماس بهذا الفوز... تنظر عناصر إسلامية إلى فوز حماس في الانتخابات، والانسحاب من غزة كمرحلة إضافية لإبادة دولة إسرائيل وهزيمة الغرب" (ملحق معاريف، ٢٤/٢/٢٠٠٦).

حزب العمل

استغل حزب العمل فوز حماس ليؤكد على برنامجه السياسي بالنسبة للتقدم بالمسيرة السياسية، حيث اعتبر فوز حماس تأكيدا على أهمية الخطوات أحادية الجانب في إدارة الصراع مع الفلسطينيين. وعدم الغرق في حالة من الجمود السياسي، رئيس حزب العمل بيرتس قال: "ليست لنا نية بإجراء مفاوضات مع منظمة تريد إبادة إسرائيل.... لكننا لا نوافق على حالة من الجمود السياسي، هناك أمور متعلقة بنا فقط، التغييرات في السلطة الفلسطينية لا يجب أن تحول إسرائيل إلى رهينة" (هآرتس، ٢٧/١/٢٠٠٦، ص:٩).

أدى فوز حماس إلى تمسك حزب العمل بموقفه الاستراتيجي من حل الصراع كما وصفه عامي أيلون، وهو الانفصال عن الفلسطينيين إلى واقع دولة يهودية ديمقراطية، وفحص مسار الجدار الفاصل، وزيادة المساحة الأمنية حسب التهديد الجديد، واخلاء المستوطنين من شرقي الجدار بشكل فوري (معاريف، ٢٧/١/٢٠٠٦، ص:٢). ولم يلغ الحزب تماما إمكانية التفاوض مع حركة حماس، وعبر عن ذلك أيلون بقوله: "لن نعطي حصانة برلمانية لقادة حماس، ولكن الباب للمفاوضات يجب أن يظل مفتوحا طيلة الوقت" (يديعوت احرونوت، ٢٧/١/٢٠٠٦، ص:٢). وأكد هذا الموقف عضو الكنيست افرايم سنيه في مقالة نشرها "أهداف إسرائيل الآن إجبار حماس، كجسم سياسي مركزي في السلطة، على تغيير نظريته وجوهره الإرهابي، أو فإننا سنثبت للشعب الفلسطيني أن حماس، على الرغم من الأغلبية التي حصل عليها، لا يستطيع حكمه وادارته، نحن لا نستطيع السكوت على وجود دولة إرهابية إسلامية إلى جانبنا" (معاريف، ٣١/١/٢٠٠٦، ص:ب٧).

حزب العمل لا يتفق مع بعض المواقف الإسرائيلية التي تنادي بحصار السلطة الفلسطينية اقتصاديا، وطرحت داخل الحزب مجموعة اقتراحات للتعامل مع الفلسطينيين في ظل حكومة ترأسها حركة حماس، ومن هذه الاقتراحات اقامة "وكالة تطوير فلسطين" كما اقترحها عضو الكنيست افرايم سنيه، وتهدف إلى تشكيل مؤسسة عليا لاستيعاب الأموال من الأجسام الدولية وصرفها بشفافية على المشاريع المختلفة (معاريف، ١٧/٢/٢٠٠٦، ص:٣)، واقترح رئيس الحزب– عمير بيرتس ضمن هذا السياق إعطاء الأموال للمنظمة وليس لحماس، لتتمكن الأولى من إقامة مؤسسات خدماتية لتستطيع إرجاع الحكم إليها بعد فترة" (المصدر السابق).

رسم حزب العمل ملامح توجهاته السياسية اتجاه الفلسطينيين مستقبلا على ضوء فوز حركة حماس، بالنقاط التالية: ١– عدم التفاوض مع حكومة، حماس جزء منها، إذا استمرت بتمسكها

بأيديولوجيتها وسلاحها، ٢- عدم تقديم أية مساعدة لمثل هذه الحكومة، سوى تلك الخاصة بالسكان الفلسطينيين، ٣- الاستعداد لتجديد عملية التفاوض على الحل الدائم مع كل حكومة فلسطينية تلتزم باتفاق أوسلو وخارطة الطريق، ٥- إكمال بناء الجدار الفاصل.

الموقف الشعبي

لم يختلف الموقف الشعبي الإسرائيلي عن الموقف الرسمي كثيرا، بل يلعب الموقف الشعبي التأثير الأساسي على الموقف الرسمي الحكومي، وعلى مواقف السياسيين من مختلف الأحزاب السياسية، خصوصا أن فوز حماس جاء في سياق الانتخابات الإسرائيلية. الموقف الشعبي الإسرائيلي يؤثر إلى درجة كبيرة على توجهات السياسيين الاسرائيليين، حيث تبنى نتنياهو شعارا انتخابيا أطلق عليه "قوي أمام حماس"، وهذا الشعار هو شعار شعبوي اكثر من كونه ناتجا عن قناعات برغماتية عقلانية، يحاول اليمين من خلاله دغدغة المشاعر الشعبية الإسرائيلية.

انقسم المجتمع الإسرائيلي في قضية التعامل مع حكومة فلسطينية برئاسة حركة حماس، ولكنه يميل إلى الحديث معها، فقد صرح ٤٣٪ من المستطلعين أن على إسرائيل قطع الاتصالات مع السلطة الفلسطينية في حالة شكلت حماس الحكومة الفلسطينية، بينما أبدى ٤٨٪ منهم موافقتهم على الحديث مع حكومة بقيادة حماس (ملحق يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/١/٢٧ ص:٤).

وترتفع نسبة المؤيدين من المجتمع الإسرائيلي المستعدين للحديث مع السلطة الفلسطينية إذا شاركت حماس في الحكومة ولم تسيطر عليها، حيث يبدي ٦٧٪ استعدادهم للحديث من السلطة الفلسطينية إذا اشتركت حماس في الحكومة مقابل ٢٨٪ يؤيدون مقاطعتها (المصدر السابق).

وفي استطلاع آخر يعتقد المجتمع الإسرائيلي أن على إسرائيل أن تكون ذكية وليست قوية أمام حماس، كما يدعي حزب الليكود في شعاره "قوي أمام حماس". ٢١٪ فقط يؤيدون قطع الاتصالات بشكل فوري مع السلطة، ٢٣٪ يؤيدون استمرار الاتصالات مع السلطة، بينما الأغلبية (٥٦٪) يعتقدون أن على إسرائيل الانتظار وفحص تصرفات وسلوك حماس وبعدها تتم عملية اتخاذ القرار بشأن مواصلة الاتصالات أم قطعها (ملحق يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/٢/٣، ص:٩). وفي استطلاع آخر أشار ٤٠٪ انهم يؤيدون إجراء مفاوضات مع حكومة برئاسة حماس إذا أعلنت الأخيرة عن تراجعها الأيديولوجي عن إبادة دولة إسرائيل، بينما أشار ٢٧٪ انهم يؤيدون استمرار النهج الإسرائيلي القائم وتجديد المفاوضات حسب خارطة الطريق الأميركية، وأيد ٢٧٪ قطع أي اتصالات أو علاقات مع السلطة الفلسطينية. (معاريف، ٢٠٠٦/١/٢٧، ص:٦).

يتخذ المجتمع الإسرائيلي الموقف نفسه في مسألة تحويل أموال الفلسطينيين إلى السلطة، ٢٨٪ فقط يعتقدون أن على إسرائيل تجميد عملية تحويل الأموال للفلسطينيين، مقابل ٢٧٪ يؤيدون تحويلها، بينما ٤٣٪ يؤيدون تجميدها مؤقتا حتى تتضح سياسة حماس في السلطة (ملحق يديعوت احرونوت، ٢٠٠٦/٢/٣، ص:٩).

يفرق المجتمع الإسرائيلي بين رؤيته البرغماتية لحركة حماس، وبين البعد الأيديولوجي للحركة، ففي الوقت الذي يعتقد فيه المجتمع الإسرائيلي أن على إسرائيل الحديث مع السلطة الفلسطينية بقيادة حماس، فانه يعبر عن قناعته أن الحركة لن تغير من طابعها الأيديولوجي بعد فوزها في الانتخابات. ٦١٪ قالوا انهم لا يؤمنون أن حماس سوف توقف "الإرهاب" وتعترف بدولة إسرائيل، مقابل ٣٧٪ يعتقدون عكس ذلك (ملحق يديعوت احرونوت ٢٠٠٦/٢/٣ ص:٩).

لا يتفق المجتمع الإسرائيلي مع موقف اهود أولمرت زعيم حزب "كديما" بان حماس ليست خطرا استراتيجيا على إسرائيل، حيث يعتقد ٥٥٪ من اليهود أن فوز حماس يشكل تهديدا وجوديا لدولة إسرائيل، مقابل ٣٨٪ لا يعتقدون ذلك، وتتفاوت التوجهات حسب الخارطة السياسية الإسرائيلية- انظر الجدول رقم (١)، ولكن يعتقد ٤٦٪ من اليهود أن حركة حماس سوف تقلل من عملياتها العسكرية، ويرى ٤٠٪ أنها ممثل شرعي للشعب الفلسطيني (هآرتس، ٢٠٠٦/٢/٧، ص:ب٣).

جدول رقم (١) هل يشكل فوز حماس خطرا وجوديا على إسرائيل؟ (بالنسب المئوية)

	السكان اليهود	مصوتو العمل	مصوتو كديما	مصوتو الليكود
نعم	٥٥	٣٩	٤٨	٨٣
لا	٣٨	٤٩	٤٨	١٧
لا اعلم	٧	١٢	٤	

نتائج الانتخابات الفلسطينيه تعيد خلط الاوراق الاسرائيلية

يشير نفس الاستطلاع الى أن تأييد المجتمع اليهودي لاقامة دولة فلسطينية قد تراجع بعد فوز حماس من تأييد يصل إلى ٦٧٪ قبل فوز حماس إلى ٥٥٪ بعد فوز الحركة (المصدر السابق).

يتفق المجتمع اليهودي مع الخط السياسي لحزب "كديما" في تصوره للتعامل مع الواقع الفلسطيني الجديد، ٧٥,٥٪ من اليهود يعتقدون أن على إسرائيل تحديد مصيرها وحدودها بشكل مستقل من خلال إنهاء العمل في الجدار الفاصل، ويعارض هذا التوجه ١٨٪ فقط (المصدر السابق).

تؤكد استطلاعات الرأي أن الموقف الشعبي الإسرائيلي ينسجم مع الموقف الرسمي، حيث يشترط التفاوض مع حماس بتنازل الأخيرة عن برنامجها السياسي والأيديولوجي، ولكن المجتمع الإسرائيلي يبدي مرونة في ذلك اكثر من قادته السياسيين، ربما لأن النقاش السياسي بين المرشحين الذي أثير حول العلاقة مع السلطة الفلسطينية يتأثر بالسياق الانتخابي القائم.

يتأثر المزاج السياسي الشعبي الإسرائيلي بدرجة كبيرة، وهو في حالة دينامية دائمة، بالأحداث السياسية الداخلية والخارجية التي تحيط فيه، حيث يعتبر عدم حديث حكومته مع السلطة في ظل حكومة حماس، وفي نفس الوقت تجاهل عملية تشكيلها للحكومة الفلسطينية، ضعفا لحكومته، فالغالبية تعتقد أن الحكومة كانت متساهلة جدا في التعامل مع فوز حماس (٤٢٪)، بينما يعتقد ٣٨٪ أن السياسة الحكومية كانت ملائمة للظروف السياسية، بينما يعتقد ١٢٪ أنها كانت صلبة جدا (هآرتس، ٢٣/٢/٢٠٠٦، ص:٣). وفي استطلاع آخر أشار ٣٤٪ أنها كانت متساهلة جدا، بينما قال ٤٣٪ أنها كانت ملائمة وحكيمة، ونفس النسبة أكدت أنها كانت صلبة جدا (١٢٪) (معاريف، ١٧/٢/٢٠٠٦، ص:٢).

لا يؤيد المجتمع الإسرائيلي الموقف الذي يربط بين الانسحاب من غزة وفوز حماس كما يطرحه اليمين الإسرائيلي، كذلك فهو لا يعتبر تجاهل الرئيس الفلسطيني أبو مازن سببا لفوز حماس كما يطرحه اليسار أيضا، حيث يعتقد ٥٢٪ أن الحكومة الإسرائيلية غير متهمة بفوز حماس، مقابل ٤٢٪ يعتقدون أنها متهمة بهذه النتيجة (ملحق يديعوت احرونوت، ٣/٢/٢٠٠٦، ص:٩). ويعتقد المجتمع الإسرائيلي أن أولمرت ونتنياهو هما القياديان المؤهلان للوقوف أمام حماس (٣٥٪ و-٣٤٪ على التوالي) بينما يحظى بيرتس زعيم حزب العمل بنسبة ١٠٪ فقط (المصدر السابق).

---

١ . صرح فيسغلاس أن على إسرائيل تجويع الفلسطينيين، لا لكي يموتوا من الجوع بل ليخسوا.

٢ . سفير إسرائيل السابق في الأمم المتحدة، ومن زعماء مبادرة "حدود آمنة لإسرائيل"، اصدر مؤخرا كتابا بعنوان "مملكة الكراهية"، يبحث فيه صعود منظمة القاعدة في السعودية.

٣ . بروفسور شاؤول مشعال، اصدر كتابا عن حركة حماس في العام ١٩٩٩ بعنوان مرحلة حماس: عنف وتسوية، نصح فيه الحكومة الإسرائيلية بالتفاوض مع حركة حماس.

٤ . د. مئير ليتباك، كتب بحثا عن حركة حماس بعنوان: "حماس، إسلام، هوية فلسطينية وجهاد" ضمن كتاب حرره بعنوان الإسلام والديمقراطية في العالم العربي في العام ١٩٩٧.

٥ . د. ماتي شطينبرغ- شغل منصب المستشار للشؤون الفلسطينية لرئيسي الشاباك السابقين، عامي ايلون وآفي ديختر. (مقابلة معه أجرتها هآرتس، ٢٠٠٦/١/٢٧، ص: ب٢).

٦ .آري شبيت في تحليله لفوز حماس وموقف يعلون السابق من خطة فك الارتباط (هآرتس، ٢٠٠٦/٢/٢، ص:ب١). وانظر أيضا إلى مقال نشره يعلون في صحيفة معاريف بعنوان "الانفصال من الواقع والحقيقة" بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢٤ ص:١٤-١٥.